

أثر السياق في تفسير المعنى

(مادة قضى نموذجاً)

كما وردت فى القرآن الكريم ولغة العرب

أ. د. أحمد محمد عبد الدايم (*)

تقديم :

أنزل الله تبارك وتعالى القرآن الكريم على سيد خلقه ﷺ بلسان عربى مبين ، لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر : ٢٨] لقد أنزله الله ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف : ٢] ولقد افتتح الله سبحانه وتعالى كثيراً من السور بهذا المعنى ليؤكد أن هذا القرآن نسيج وحده ، وهو معجز لأهل البيان أنفسهم ، ملجم لألسنتهم متقوٍ على بيانهم وبلاغتهم ، وذلك نحو قوله تعالى ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر : ١] ، وقوله تعالى ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل : ١] وقوله تعالى ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص : ١] ، وقوله تعالى ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق : ١] ، وقوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن : ١-٢] ، وقوله تعالى ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف : ١-٢] ، وقوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف : ١] ، وقوله تعالى ﴿طسم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الشعراء : ١-٢] ، وقوله تعالى ﴿طسم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾

(*) أستاذ النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة ، ووكيل الكلية الأسبق .

[القصص : ١-٢] وهو كتاب حكيم كما جاء في قوله تعالى ﴿الْم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [لقمان : ١-٢] بل هو قرآن لاشك فيه في قوله تعالى ﴿الْم ، تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة : ١-٢] ، وهو قرآن ذو ذكر عال عظيم في قوله تعالى ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص : ١] كتاب أنزله الله في ليلة مباركة في قوله تعالى ﴿حَم ، وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ، إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ﴾ [الدخان : ١-٢] وهو كتاب محكم الآيات بليغ العبارات لأنه من رب العالمين ، في قوله تعالى ﴿الرَّ كِتَابَ أَحْكَمْتَ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود : ١] وهو كتاب كريم أنزل بالحق من رب العالمين في قوله تعالى ﴿الْم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد : ١] وأنزله الله ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور في قوله تعالى ﴿الرَّ كِتَابَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم : ١] أجل كتاب هذه صفاته ذو قدر عظيم ، أقسم المولى به في كثير من مطالع السور ووصفه بكل هذه الصفات الفريدة ، أحكم آياته وفصلها ، لا بد لمن يتدبر هذه الآيات أن يرى فيها عجبا ، ويستخلص منها ثررًا ، ويقع منها على فرائد لا مثيل لها في لغة العرب ولا أي لغات أخرى .

أجل إنه آية الله الكبرى ، ومعجزته العظمى أنزلها على نبيه ليدحض به قوماً لداً ، ولقد تحقق ذلك بإذن الله فأخرس السنة المجادلين وقوى حجة رسوله الكريم ﷺ .

ومن هذا المنطلق الكريم وامتنالا لقوله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [محمد : ٢٤] فقد تتبعت مادة (قضى) بل قل (ق ض ي) في هذا السفر العظيم متدبراً ما وردت فيه من السياق الجميل ، فوجدتها تعبر عن معان مختلفة طبقاً لهذا السياق ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على عظمة السياق القرآني

الرفيع ، والمستوى البلاغى الجليل الذى ورد مما يشكل إعجازاً لغوياً فائقاً لا نظير له على المستوى الإنسانى المعهود .

لقد ورد لمعنى "ق ض ي" حسب السياق فى آى القرآن الكريم سبعة وعشرون موضعاً حيث جاءت بمعنى حكم ، وفرغ ووصى وأمر وبنى ومات .. الخ والمعانى التى اتفق فيه الباحث مع لسان العرب عددها سبعة عشر معنى.

أما إذا رجعنا إلى معاجم اللغة ، مسئلة فى لسان العرب لابن منظور فإننا نجد معنى "ق ض ي" قد تعدد أيضاً بتعدد السياق شعراً ونثراً ووردت فيه المعانى الآتية . وعددها ثلاثة عشر معنى :

قضى القضاء أى الحكم، والقاضى هو القاطع للأمور المحكم لها ، وقضى الأمر قاضياً عيَّنه قاضياً، وقضى بينهم القضايا الأحكام وأحدثها قضية ، وقضاء الشئ إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه فيكون بمعنى الخلق ، ومنه القضاء المقرون بالقدر حينما نقول "قضاء وقدرًا" وقضى الشئ قضاء صنعته وقدره ، فبكون بمعنى الصنع والتقدير ، ومنه قوله تعالى ﴿ فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾ معناه فاعمل ما أنت عامل ، ويكون بمعنى الفراغ نقول : قضيت حاجتى أى فرغت منها ؛ وقضى عبرته أى أخرج كل ما فى رأسه ، والقاضية : الموت ، وقضى نحبه قضاء مات ، وسُمَّ قاضٍ أى قاتل ، وقضى عليه قتله .

كما أننا أضفنا بعض المعاني المستحدثة (بمعنى الجديدة والطارئة) فى الاستعمال اللغوي الحديث وهي تلك التي لم ترد في القرآن الكريم، وكذلك لم ترد في معاجم اللغة ، كي نثرى البحث حول أثر السياق في فهم معنى مادة (ق ض ي) من نحو قضى بمعنى أمضى ، وقضى وقتاً جميلاً ، عاش وقتاً جميلاً ، والقاضية الحاسمة وقضى بمعنى أدَّى ، والقاضية : المهلكة وقضى بمعنى حكم ، وقضى خلق وقضى بمعنى خفى وقضى كتب وقضى بمعنى وفى

وقضي أمراً أراد أمراً ، وقضي أمراً شرعه ، وقضي الدين سَدُّه ، وقضي منها وطراً : عاشرها . وعددها ستة عشر معني .

ولقد بلغ مجموع المعاني المستفادة من القرآن الكريم ومن لسان العرب ومن عندي ستة وأربعين معني ، وأحب أن أنوه إلي أن هذه المعاني المستحدثة، من فهمي وتدبري ، ولم يقل بها أحد من المفسرين أو من أصحاب معاجم اللغة ، بمعني أنها قد تكون مستخلصة من السياق القرآني أو من غيره أحيانا ، لكن فهمي للسياق أوحى إلي بهذا المعني عند تدبره وأرجو أن يكون فهمي هذا صحيحا .

والفعل قضي أصله (قضاى) لأنه من قضيت ، تطرفت الياء بعد ألف زائدة مفتوح ما قبلها ، فقلبت همزة ، وجمع قضية قضايا أو أقضية ، وهو فعل ناقص يأتى .

ولفظه قضايا أصلها قضائى ، وقعت الهمزة مكسورة بعد ألف مفتوح ما قبلها فأبدلت فتحة فصارت قضاءً ، فاجتمع في الكلمة ما يشبه ثلاث ألفات ، فقلبت الهمزة ياء فصارت قضايا ومثلها هدايا ومطايا .

والبحث له ثلاثة فروع هي :

١- أثر السياق في تفسير المعني في القرآن الكريم .

٢- أثر السياق في تفسير المعني عند ابن منظور .

٣- أثر السياق في تفسير المعني عند الباحث .

أولاً : الفرع الأول :

أثر السياق في تفسير المعنى في القرآن الكريم : امثالاً لقوله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(١) وقوله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٢) فإنني نظرت في السياق القرآني الشريف إلى مادة "ق ض ي" لاستنباط معانيها المتنوعة ، مما يدل دلالة قاطعة على أن القرآن من عند الله ، محكم الآيات ، لا مثيل له في نسجه اللغوي ، ولا نهاية لأسراره البلاغية والبيانية .

انظر معي متدبراً تلك الآيات القرآنية ، لنرى فيها أثر السياق في تغيير معنى مادة (قضي) .

١- قال تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٣) حيث جاء معنى "قضى" بمعنى أمر ربك ألا تعبدوا ومثله ما يرد في حياتنا اليومية من نحو قولنا "قضت المحكمة بالبراءة" أي أمرت بها وفي لسان العرب لابن منظور ورد هذا أيضاً قال : وقوله تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ أمر ربك وحتم ، وهو أمر قاطع وحتم^(٤) .

٢- وقد تغير معنى "قضى" إلى معنى آخر تبعاً لتغير السياق القرآني في قوله تعالى ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(٥) أي إذا "فرغ" منها ،

(١) محمد ٢٤ .

(٢) النساء ٨٢ .

(٣) الاسراء ٢٣ .

(٤) لسان العرب ق ض ي ١٨٦/١٥ .

(٥) الجمعة ١٠ .

ومثله قوله تعالى ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾ ^(١) أي فرغتم من أدائها ، ومنه قوله تعالى ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا﴾ ^(٢) أي إذا فرغتم من صلاتكم .

ومنه قولنا "إذا قضيت الأجازة عدنا إلى أعمالنا" أي إذا فرغنا منها، وقد ورد هذا المعنى في لسان العرب مؤكدا لما ذهبنا إليه حيث يقول "وقد يكون قضى" بمعنى الفراغ ، تقول قضيت مهمتي" ^(٣) .

٣- ومن المعاني الجميلة لمادة (ق ض ي) المستنبطة من السياق القرآني ما نراه في قوله تعالى ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ ^(٤) أي ليسددوا ويؤدوا ما عليهم من هدى ، ومنه قوله ﷺ "اللهم اقض الدين عنا وعن المدينين" أي أده وسدده عنا.

ومنه قولنا : قضى زيد ما عليه من دين ، أدها وسدده ، ومنه قولنا قضى زيد الصلاة التي فاتته ، أي أداها .

وقد ورد هذا المعنى عينه في لسان العرب قال "وقضى الغريم دينه قضاء ، أده إليه" ^(٥)

٤- ومن المعاني المستفادة من السياق القرآني لمادة (ق ض ي) ما نراه في قوله تعالى ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ ^(٦) أي قتله ، ومنه قولنا "قضى زيد على عدوه" : قتله .

(١) البقرة ٢٠٠ .

(٢) النساء ١٠٣ .

(٣) لسان العرب ١٨٧/١٥ .

(٤) الحج ٢٩ .

(٥) لسان العرب ١٨٨/١٥ ق ض ي .

(٦) القصص ٢٩ .

وفي لسان العرب "وضربه فقصى عليه أي قتله ، ..وسُم قاض أي قاتل" (١) .

٥- ومن ذلك أيضا ما نراه من معنى جميل لمادة (ق ض ي) في قوله تعالى ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (٢) أي انتهى الأمر ولا مجال للكلام فيه لوضوح معناه ومنه أيضا قوله تعالى ﴿وَيَا سَمَاءُ أَطْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ (٣) ومنه قوله تعالى ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ (٤) . ومنه قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٥) فالمعنى فيها كلها، انتهى الأمر وحسم .

وفي لسان العرب ما يؤكد هذا المعنى حيث يقول "وقوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَاً لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ [الأنعام : ٨] قال أبو اسحق : معنى قضى الأمر أتم إهلاكهم ، قال وقضى في اللغة على ضروب ، كلها ترجع إلى معنى انقطاع الشيء وتامه" (٦) وانقطاع الشيء نهايته .

٦- وقد يأتي لمادة "ق ض ي" معنى آخر نفهمه من السياق أيضا ، تأمل قوله تعالى ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٧) أي فصل بينهم . ومثله

(١) لسان العرب ١٨٧/١٥ ق ض ي .

(٢) يوسف ٤١ .

(٣) هود ٤٤ .

(٤) إبراهيم ٢٣ .

(٥) مريم ٣٩ .

(٦) لسان العرب ١٨٧/١٥ ق ض ي .

(٧) الزمر ٦٩ .

قوله تعالى ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ^(١) ومنه قوله تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ ^(٢) والمعنى فيها جميعاً - والله أعلم - فصل بينهم بالحق والعدل .

وفي لسان العرب ورد هذا المعنى الذي ذكرته سائفاً حيث قال "وفي صلح الحديبية : هذا ما قاضى عليه محمد (ﷺ) هو فاعل القضاء ، الفصل والحكم" ^(٣) وبعدها جاء قوله "وقد تكرر في الحديث ذكر القضاء وأصله القطع والفصل ، يقال قضى يقضى فهو قاضٍ إذا حكم وفصل" ^(٤)

٧- وقد تأتي مادة "ق ض ي" بمعنى استشهد فهُمَا من السياق ، انظر إلى قوله تعالى ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ ^(٥) والمعنى - والله أعلم - من المؤمنين من استشهد ، ومنهم من ينتظر ذلك الشرف والفضل العظيم .

وفي لسان العرب قوله "وقضى نحبه : مات" ^(٦) وإنى أعترض على هذا المعنى ؛ لأن الاستشهاد غير الموت حيث يقول تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فالموت فناء ، والشهادة حياة والبون بينهما شاسع لا يستويان. لذا فتفسير ابن منظور غير مقبول في هذا الموطن .

(١) الزمر ٧٥ .

(٢) غافر ٧٨ .

(٣) اللسان ١٨٦/١٥ .

(٤) اللسان ١٨٦/١٥ .

(٥) الأحزاب ٢٣ .

(٦) لسان العرب ١٨٧/١٥ .

٨- وقد جاء لفظ "قضى" في القرآن الكريم بمعنى "بنى" مثلما نقول زيد بنى بيتاً، نلاحظ ذلك في قوله تعالى ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ (١) ولقد ورد هذا المعنى "بنى" في القرآن الكريم صراحة في سورة النبا حيث يقول جل وعلا ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ (٢) حيث يفسر القرآن بعضه بعضاً .

وقريب من هذا المعنى الذي ذكرته آنفاً ما قاله ابن منظور في لسان العرب حيث جاء فيه "ومنه قوله تعالى : قضاهن سبع سموات في يومين" أي فخلقهن وعملهن وصنعهن وقطعهن وأحكم خلقهن" (٣) وكلها معانٍ ليست بعيدة عن معنى "بناهن" لأن البناء صنع وإيداع وإحكام ، ومن أحسن من الله صنعا ؟!

٩- ومن أجمل المعاني المستوحاة من الفعل "قضى" أن يكون معناه (أوحى إليه) انظر إلى قوله تعالى ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنْ ذَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْنِجِينَ﴾ (٤) أي أن الله سبحانه تعالى - وهو أعلم بمراده - أوحى إلى لوط عليه السلام بمصير قومه الذي سيقع عليهم لا محالة ، ومنه قوله تعالى ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾ (٥) أي - والله أعلم - أوحينا إليه .

وقد ورد في لسان العرب لابن منظور ما يشبه هذا المعنى الذي ذكرته (أوحى) حيث قال : قال تعالى "وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب ، أي

(١) فصلت ١٢ .

(٢) النبا ١٢ .

(٣) لسان العرب ١٨٦/١٥ .

(٤) الحجر ٦٦ .

(٥) القصص ٤٤ .

عهدها وهو بمعنى الأداء والانتهاء - وقوله «وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ» أي أنهيناها إليه وأبلغناه ذلك» (١)

والذي أراه أن قضى هنا بمعنى أوحى - خلافا لابن منظور - هو المقصود ، وهو الأوقع والمناسب لهذا الموضع .

١٠- قضى بمعنى تم الأمر ونفذ :

ومن المعانى التى ذهب إليها الباحث وابن منظور في لسان العرب مستوحاة من الفعل قضى ، المعنى (تم الأمر ونفذ) من قوله تعالى «فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ» (٢) أي لما نفذ أمر الله وتم موت سليمان، ما علمت الجن بموته إلا حينما أكلت دابة الأرض عصاه .

وقد ورد في لسان العرب ما يؤيد هذا ، حيث جاء فيه «قال الأزهري : القضاء في اللغة على وجوه : مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه ، وكل ما أحكم عمله أو تم أو حكم أو أدى أداء ، أو أوجب أو أعلم أو أنفذ أو أمضى فقد قضى» (٣) .

١١- قضى بمعنى قضى حاجته وفرغ منها

ومن المعانى المستحدثة لمعنى قضى ، ما شاع استعماله الآن بين الناس، قولهم ذهب فلان إلى الحمام لقضاء حاجته ، أي للتبرؤ أو التبول .

يؤيدني فيما ذهبت إليه ما ورد في لسان العرب حيث قال ابن منظور «وقد يكون القضاء بمعنى الفراغ ، تقول قضيت حاجتي» (٤)

(١) لسان العرب ١٥ / ١٨٧ .

(٢) سبأ ١٤ .

(٣) لسان العرب ١٥ / ١٨٦ .

(٤) اللسان ١٥ / ١٨٦ .

وقد يكون هذا المعنى - والله أعلم - في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ ^(١) أي - والله أعلم - لما قضى حاجته منها .

١٢- قضى بمعنى القضاء :

وأعنى هنا ذلك الركن الإيماني الذي يجب على كل مسلم أن يؤمن به وهو القضاء والقدر ، وهما لفظان متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، والمعنى أن القدر ما قدره الله على الإنسان حلوه مره ، والقضاء نفاذ هذا الأمر ووقوعه .

يقول ابن منظور في لسان العرب "القضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر ، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء ، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه" ^(٢)

١٣- قاضى فلانا : طلب الفصل بينهما والحكم :

ومن المعانى المشهورة الآن بين الناس قولهم : قاضى فلان فلانا أي رفع عليه قضيته إلى القاضى يطلب الحكم بينهما والفصل فيها فيما بينهما من خلاف ، ذهب إلى هذا ابن منظور في لسان العرب حيث قال "ومنه القضاء للفصل في الحكم .. ومنه قضى القاضى بين الخصوم ؛ أي قطع بينهم في الحكم" ^(٣)

(١) الأحزاب ٢٧ .

(٢) اللسان ١٨٦ / ١٥ .

(٣) لسان العرب ١٨٧ - ١٨٨ .

١٤- اقضِ ما أنت قاضٍ : افعل ما أنت فاعل :

ومن المعاني الجليلة التي قد يقع عليها التأمل لقوله تعالى في سورة طه ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ، فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ^(١) فالمعنى الذي جاء على لسان من آمن مع موسى ، ورفضوا طاعة فرعون بعدما تبين لهم الحق ، مُتَحَدِّثِينَ لَهُ وَلَمَّا يَتَوَعَّدُهُمْ بِهِ قَائِلِينَ لَهُ : افعل ما أنت فاعل- أي افعل ما تريد - فلن نعود إلى مَلِكِكَ وضلالِكَ ، وهذا الرد والتحدي جاء بعد قوله تعالى - على لسان فرعون لعنه الله - لهم ﴿ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آتَنَّا لَكُمْ بِهَؤُلَاءِ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢) أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى

تأمل ما توعدهم به فرعون

١- سوف يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أي اليد اليمنى مع الرجل اليسرى والعكس .

٢- ثم سوف يصلبهم في جذوع النخل بحيث يشد وثاقهم حتى يصيروا وجذع النخلة شيئاً واحداً .

٣- أن عذابه بهم سوف يكون أشد وأبقى .

وتأمل أنه استخدم نون التوكيد الثقيلة (أقطن) و(أصلبن) و(تعلمن) لإظهار التصميم والإصرار على ما توعد به والتخويف الشديد لهم .

ومع ذلك كله قالوا له (افعل ما تريد) !

(١) طه ٧٢ .

(٢) طه ٧١ .

ولقد ورد هذا التحدي أيضا في سورة الشعراء حينما قال فرعون لمن آمن مع موسى عليه السلام ، قال تعالى ﴿ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا يَصْلَبُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١)

لقد تحدوه غير مبالين بتهديده وتخويله لهم ، بثقة تامة في الله وفيما جاءهم به موسى فقالوا ﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾ (٢) أي ليس مهما فلا ضرر ولا بأس يقع علينا من فعلك فينا ، وإذا كان القرآن يفسر بعضه بعضا ، فإن المعنى يكون واضحا ، في الآية الأولى قالوا له بسخرية "أفعل ما تريد" وفي الآية الثانية "لا خير ولا بأس يقع علينا من فعلك بإذن الله" .

وفي لسان العرب ما يؤكد هذا المعنى الذي ذهبنا إليه حيث جاء فيه "والقضاء بمعنى العمل ، ويكون بمعنى الصنع والتقدير ، وقوله تعالى ﴿ فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾ معناه فاعمل ما أنت عامل ، قال أبو ذؤيب

وعليهما مسرودتان قضاهما داود ، أو صنْعُ السوابغ تُبْعُ" (٣)

١٥- قضى : وصى وأعلم

ومن المعانى المستفادة من السياق لمادة (ق ض ي) معنى وصى نقول :اجتمع الرجل ببنيه وقضى عليهم عهدا ، بمعنى وصّاهم بوصية ، ونرى ذلك في قوله تعالى ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (٤)

(١) الشعراء ٥٠ .

(٢) الشعراء ٤٩ .

(٣) اللسان ١٥ / ١٨٦ .

(٤) الإسراء ٤ .

قال ابن منظور في لسان العرب ، "ومعناه الوصية وبه يفسر قوله عز وجل "وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب" (١)

ولعلي أخالفه في هذا الرأي حيث أرى أن المعنى أوحينا الذي ذكرناه تحت رقم (٩) وهو أقرب لمعنى القضاء ، فليس منهم موحى إليه أو من يستحق الوصية .

١٦- قضى : أحكم

ومن المعاني المستفادة لمادة "قضى" من السياق أن تأتي بمعنى أحكم صنع الشيء ، وجدنا هذا المعنى في لسان العرب حيث قال ابن منظور "وقضاء الشيء إحكامه" (٢) ويضيف بعدها "وقال الزهري : القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه وكل ما أحكم عمله أو أتم أو حَتَمَ" (٣)

ويمكن أن يندرج تحت هذا المعنى قوله تعالى ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ (٤) أي أحكم بناءهن ، من إحكام البناء وتمامه .

١٧- يُقْضَى : يَبَيَّن من البيان :

نرى ذلك متمثلاً بمعناه الجليل من سياق قوله تعالى ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ (٥) .

(١) لسان العرب ١٥ / ١٨٧ .

(٢) لسان العرب ١٥ / ١٨٦ .

(٣) لسان العرب ١٥ / ١٨٦ .

(٤) فصلت ١٢ .

(٥) طه ١١٤ .

يؤكد هذا ما أشار إليه ابن منظور في لسان العرب حيث قال "وقوله تعالى ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ أي من قبل أن يُبَيِّنَ لك بيانه" (١).

ثانيا : الفرع الثاني :

أثر السياق في تفسير المعنى لمادة (ق ض ي) عند ابن منظور ونقصد هنا ما تفرّد به ابن منظور في تفسيره لمادة "ق ض ي" وحده وليس لى فيها إلا الرصد ، ولقد اعتمد ابن منظور في ذلك على السياق الشعري أو ما ورد عن العرب في هذا الصدد .

ولقد قمنا بهذا الرصد إكمالاً للمعنى الجميل لهذه المادة الفريدة لبيان ما للغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم وشرفها ورفع قدرها من سحر وبيان وجمال .

١- قَضَى : أَمَر ، عَيْن أَمِيرًا :

جاء في لسان العرب "وقضى الأمير قاضيا ، كما نقول أَمَر أَمِيرًا" (٢) والمعنى المستفاد من هذا أن قَضَى بتشديد الضاد تأتي بمعنى "عَيَّن" التي نستخدمها في زماننا هذا ومثل : وَقَضَى قاضيا : عَيَّن قاضيا ، ومثلها قولنا : أَمَر أَمِيرًا وعَمَد محافظا بمعنى عينهما .

٢- قَضَى : أَفْرَغَ

ومن المعانى التي تفرّد بها لسان العرب لابن منظور قوله "وقضى عبرته : أي أخرج كل ما في رأسه قال أبو أوس :

أَمْ هَلْ كَثُرَ بَكَى لَمْ يَقْضِ عِبْرَتَهُ إثر الأحبة يوم البين معزور؟

(١) لسان العرب ١٥/١٨٧ .

(٢) لسان العرب ١٥/١٨٦ .

أي لم يخرج كل ما في رأسه" (١)

٣-القَضَى : الموت القاضى

ومن المعانى الفريدة التى جاء بها ابن منظور لمادة (ق ض ي) وما تفرع عنها قوله "وقوله أنشده ابن الأعرابى .

سُمَ ذراريح جهيرًا بالقضى

فسره فقال : القضى : الموت القاضى ، فإما أن يكون أراد القضى بالتخفيف وإما أن يكون أراد القضى فحذف إحدى الياعين كما قال :

ألم تكن تحلف بالله العلى

إن مطاياك لمن خير المطى" (٢)

٤-اقضوا : امضوا :

اقضوا : فعل أمر من قضى بمعنى امضوا مثل ما نقول لشخص ما : امض فى حالك ، هذا المعنى أورده ابن منظور فى تفسيره لقوله تعالى ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ (٣) قال ابن منظور "فإن أبا اسحق قال : ثم افعلوا ما تريدون ، وقال الفراء : معناه : ثم امضوا إليّ كما يقول : قضى فلان ، يريد قد مات ومضى وقال أبو اسحق : هذا مثل قوله تعالى فى هود ﴿فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾ (٤) أي لا تهملوني ، قال : وهذا أقوى آيات النبوة أن يقول النبى لقومه وهم متعاونون عليه : افعلوا بي ما شئتم" (٥)

(١) لسان العرب ١٨٧/١٥ .

(٢) لسان العرب ١٨٧/١٥

(٣) يونس ٧١

(٤) هود ٥٥ .

(٥) لسان العرب ١٨٨/١٥ .

٥- قَضَوْا بينهم قواضى : اتفدوها : وهي المنايا

وقد ورد هذا المعنى عند ابن منظور في لسان العرب حيث قال :
ويقال اقتتل القوم فقَضَوْا بينهم قواضى ، وهي المنايا ، قال زهير :

فقَضَوْا منايا بينهم ثم اصْدَرُوا

الجوهري : قَضَوْا بينهم منايا بالتشديد : أي أنفدوها ، وقَضَى اللَّبانة
أيضا بالتشديد وقَضَاهَا بالتخفيف بمعنى " (١) .

٦- الاستقضاء : الطلب :

معلوم أن زيادة الألف والسين والتاء عند علماء الصرف تفيد الطلب ،
مثل قولنا استغفر فلان : طلب المغفرة من الله ، وهذا ما يعنيه ابن منظور في
أن الاستقضاء طلب القضاء ، وقد نورد ابن منظور بهذا ، حيث قال : "وقضى
الغريم دينه قضاء أذاه إليه ، واستقضاء ، طلب إليه أن يقضيه " (٢)

نقول : إن الزيادة في المبنى تفيد الزيادة في المعنى ، فلما زاد ابن
منظور مبنى "ق ض ي" أضاف له معنىً جديدًا ، وهذا من المعانى التي
نستخدمها في أيامنا هذه (الطلب) حيث نقول "استفتى ولي الأمر الناس في أمر
طلب منهم إبداء رأيهم فيه . وهذا مما يقوى ما ذكره ابن منظور ويؤكدده .

٧- تقاضاه الدين : قبضه منه :

ومن المعانى التي ذكرها ابن منظور لمادة (ق ض ي) في لسان العرب
ما ورد في قوله "وتقاضاه الدين قبضه منه ، قال :

إذا ما تقاضى المرء يومَ وليلةٍ تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا

(١) لسان العرب ١٥/١٨٨ .

(٢) لسان العرب ١٥/١٨٨ .

أراد :إذا ما تقاضى المرء نفسه يوم وليلة ، ويقال : تقاضيته حَقَّى
فقضانيه ، أي : تجازيته فجزانيه ، ويقال : اقتضيت ما لي عليه ، أي قبضته
وأخذته " (١)

٨-القاضية : من الإبل التي تُسدُّ بها الدِّية :

ولقد أورد ابن منظور هذا المعنى في لسان العرب حيث يقول
"والقاضية من الإبل ، ما يكون جائزاً في الدِّية والفريضة التي تجب في
الصدقة، قال ابن أحمر :

لعمرك ما أعان أبو حكيم بقاضية ولا بكر نجيب" (٢)

فجعل القاضية للناقة التي يتصدق بها ، وهو هنا ينكر الشاعر عليه أنه
لم يقدم لا ناقة ولا بكرًا صغيرًا ، (والبكرُ بفتح الباء هو ولد الناقة الصغير) .

٩-القضاء : الجلد الرقيقة :

جاء في لسان العرب لابن منظور قوله "والقضاء الجلد الرقيقة التي
تكون على وجه الصَّبِيِّ حين يولد" (٣)

وهي التي تسمى عند العامة (بالبرنوس) . وهذا معنى تفرد به ابن
منظور ولم يأت في أي من آيات القرآن الكريم . ولم يمثل له بيت من أبيات
الشعر .

١٠-القضة : نبتة :

قال عنها ابن منظور في لسان العرب "القضة : مخففة ، نبتة سهلية
وهي منقوصة ، وهي من الحَمْض ، والهاء عوض ، وجمعها قِضِي ، قال ابن

(١) لسان العرب ١٨٨/١٥ .

(٢) لسان العرب ١٨٨/١٥ .

(٣) لسان العرب ١٨٨/١٥ .

سيدة : وهي من معتل الياء ؛ وإنما قضينا بأن لامها ياء لعدم "ق ض و"
وجود "ق ض ي" ، الأصمعي : من نبات السهل الرمثُ والقضة ، ويقال في
جمعه قضاة وقضون ، ابن السكيت : تجمع القضة قضين . قال أمية بن أبي
الصلت :

عرفت الدار قد أقوت سنيها لزيبب إذ تحلُّ بذِي قضينا ^(١)

١١-قضة : مكان :

والغريب أن لفظ قضة ، الذي ذكره ابن منظور على أنه اسم نبتة ،
أورد له أيضًا اسمًا لمكان أو موضع من المواضع ، قال في لسان العرب
"وقضة أيضًا موضع كانت به وقعة تحلاف اللمم وتجمع على قضاة وقضين ،
وفي هذا اليوم أرسلت بنو حنيفة الغند الزماني إلى أولاد ثعلبة حين طلبوا
نصرهم على بنى تغلب ، فقال بنو حنيفة : قد بعثنا إليكم بألف فارس ، وكسان
يقال له "عديد الألف" فلما قدم على بنى ثعلبة قالوا له : أين الألف ؟ قال : أنا ،
أما ترضون أنى أكون لكم فندا ؟ فلما كان من الغد ، وبرزوا للقتال ، حمل على
فارس كان مردفا لآخر فانتظمهما وقال :

أيا طعنة ما شيخ كبير يفن بالي . ^(٢)

١٢-قضى الرجل : أكل القضا .

ومما تفرد به لسان العرب من ذكره لمعاني مادة (ق ض ي) قوله :

قال أبو عمرو قضى الرجل إذا أكل القضا وهو عجم الزبيب ^(٣)

(١) اللسان ١٨٨/١٥ .

(٢) اللسان ١٨٩/١٥ .

(٣) اللسان ١٨٩/١٥ .

١٣-القضاء :الدروع :

وأيضاً مما تفرد به ابن منظور في لسان العرب من المعانى لمادة "ق" ض ي" قوله : "أبو عبيدة : والقضاء من الدروع التي فرغ من عملها وأحكمت، ويقال لها الصلبة" (١)

ثالثاً : الفرع الثالث : أثر السياق في تفسير المعنى عند الباحث :

وهذا الفرع من جانبي ، نتيجة طول التأمل والتدبر في بعض آيات القرآن الكريم التي ورد في سياقها لفظ (ق ض ي) ولم ترد عند غيري ، فهي من فهمي الخاص والتي يعتقد أنها معاني صحيحة - والله أعلم بالصواب- وقد أوردت بعض المعانى لمادة (ق ض ي) في سياقاتها المعاصرة ، التي قد لا تكون استعملت فيما مضى من الزمان ، أردت بهذا أن أدلل على عظمة لغة العرب واستيعابها لمعاني كثيرة من لفظ واحد مع تنوع السياق ، وهي حقاً لغة شريفة ، تستحق أن تكون لغة القرآن الكريم حيث يقول المولى عز وعلّا :

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٢)

ولقد ظهر لمادة (ق ض ي) المعاني المستحدثة الآتية :

١-قضى منها وطراً : عاشرها :

نجد هذا المعنى حين تأملنا لقوله تعالى ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ (٣) أي فلما عاشرها زيد لفترة معينة ، هو مولى وهي الشريفة ، وتحقق مبدأ المساواة بين البشر في ظل الإسلام السمح ، أمر الله سبحانه رسوله بالاستجابة لطلب زيد لطلاقها، وأمر رسوله بالزواج منها . نعم ما أجمل اللفظ،

(١) اللسان ١٨٩/١٥ .

(٢) يوسف ٢ .

(٣) الأحزاب ٣٧ .

وأعظم السياق ! يا لجلاله وشرفه وما أجمل أدب اللفظ وكريم استعماله ودقة معناه !

ومن قبيل هذا السياق وحاشا لله أن يكون في بلاغته وشرفه ، قولنا "قضى الرجل وقتاً ممتعاً مع زوجته" أي تمتع بها وبمعاشرتها . وفي لسان العرب ما قد يؤيد هذا المعنى حيث قال ابن منظور "قضى وطره : أتمه وبلغه"
٢-قضى الدين : سدّده وأداه :

نتلمس هذا المعنى في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾ (١)

أي إذا وفيتم وسدّدتم وأديتُم ما عليكم من هَذي ، ومنه قوله ﷺ فيما معناه "اللهم اقض الدين عنا وعن المدينين" أي أدّه عنا ، ومنه قولنا : قضى الصلاة التي فاتتّه ، أداها وسدد دينه لله سبحانه ، وقد يجد هذا المعنى المتأمل لقوله تعالى ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تَنْتَظِرُونِ ﴾ (٢) واقضوا إلي أي أدّوا إلي .

٣-قضى الله أمراً : أراده :

إذا تأملنا سياق قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٣) فإننا نرى أن معنى قضى حسب سياقها -إذا أراد أمراً ، والله أعلم بمراده ، وقد وردت الآية نفسها في سورة آل عمران (٤) ، ومثله قوله تعالى ﴿ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٥)

(١) الحج ٢٩ .

(٢) يونس ٧١ .

(٣) البقرة ١١٧ .

(٤) آل عمران ١١٧ .

(٥) مريم ٣٥ .

٤- قضى الله أمراً : شرعه :

وقد تبين هذا المعنى الكريم لمادة (ق ض ي) من سياق قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (١) أي إذا شرع الله ورسوله شيئاً وجب اتباعه وتنفيذه ولا رأي لأحد فيه .

٥- قضى عليه : قتله وأباده

ومن أجمل المعانى التي يدل عليها السياق الشريف في القرآن العظيم ، أن تكون قضى عليه بمعنى قتله تأمل قوله تعالى ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ (٢) أي فقتله ، ومنه قولنا : قضى الجندى على عدوه ، أي قتله ، نقول : قضت الحكومة على الوباء : أبادته . وأنهت عليه وفرغت منه .

ويؤيد هذا المعنى ما جاء في لسان العرب حيث قال : "وضربه فقضى عليه ، أي قتله كأنه فرغ منه ، وسُمُّ قاضٍ أي : قاتل" (٣) .

٦- قضى : وفى :

ومن أبرز المعانى التي يدل عليها الفعل "قضى" في سياقه القرآنى الشريف أن يكون بمعنى وفى بما عليه أو بما وعد به انظر إلى قوله تعالى ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ (٤)

أي حينما وفى موسى بما عاهد عليه شعباً ^{الذين} حين زوجه من ابنته سار بها متجهاً إلى مصر .

(١) الأحزاب ٣٦ .

(٢) القصص ١٥ .

(٣) اللسان ١٨٧/١٥ .

(٤) القصص ٢٩ .

ومنه قوله تعالى ﴿ اَيُّهَا الْاَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ﴾ ^(١) أي - والله أعلم - أي الأجلين (ثمانية أعوام أم عشرينها) وفيته فلا عدوان على .

٧-قضى : كتب :

وهذا المعنى للفعل (قضى) يتجلى في قوله تعالى ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ^(٢) حيث جاء معنى "قضى" هنا في الآية الكريمة - والله أعلم - التي كتب عليها الموت .

٨-قضى : خفى :

وللسياق أثر كبير في تحديد معنى (قضى) حيث نرى ذلك في قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٣) والمعنى إلا حاجة في نفس يعقوب أخفاها ولم يطلع عليها أحدا .

٩-قضى : بنى :

ومن أجمل المعانى التي تضمنها الفعل (قضى) أن يأتي بمعنى (بنى) ، نرى ذلك في قوله تعالى ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ ^(٤) ومن جملة اللغة أن القرآن استخدم لفظ "بنى" أيضا في قوله تعالى ﴿ وَبَيْنَنَا وَفَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ ^(٥) ولما كان من أجمل البيان أن يفسر القرآن بعضه بعضا ، فإننا نرى أن الفعل (قضى) يأتي بمعنى (بنى) .

(١) القصص ٢٨ .

(٢) الزمر ٤٢ .

(٣) يوسف ٦٨ .

(٤) فصلت ١٢ .

(٥) النبا ١٢ .

وقريب من هذا المعنى الذى ذهبت إليه ما قاله ابن منظور في لسان العرب حيث جاء فيه "ومنه قوله تعالى ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي فخلقهن وعملهن وصنعهن وقطعهن وأحكم خلقهن" ، وكلها معانٍ ليست بعيدة عن معنى بنائهن ، لأن البناء من صنعه سبحانه ومن إبداعه وإحكامه وعمله .
والمعنى الذي ذكرناه أولى وأقوى ، لأنه ورد بصفته ونصه في القرآن الكريم كما ذكرنا .

١٠-قضى : خلق

وقد يكون (قضى) بمعنى خلق ، نرى ذلك في قوله تعالى ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ ^(١) نستنبط هذا المعنى من قوله تعالى قبلها في السورة نفسها حيث يقول تعالى ﴿قُلْ أَنتَكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ^(٢) حيث استخدم سبحانه الفعل خلق أولاً، ثم الفعل قضى بعد ذلك . وهذا يدل على أن المعنى واحد .

١١-قضى : حكم بين متنازعين :

وقد يكون المعنى المستوحى من السياق للفعل (قضى) الحكم بين متنازعين حيث يقضى بينهما القاضى ، قال تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ^(٣) حيث جاء المعنى هنا حسب السياق بمعنى حكمت، وقد دلّ على هذا المعنى الذي ذهبنا إليه قوله تعالى في الآية نفسها حيث يقول الحق تبارك

(١) فصلت ١٢ .

(٢) فصلت ٩ .

(٣) النساء ٦٥ .

وتعالى ﴿ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ والقرآن - كما سبق أن ذكرنا - يفسر بعضه بعضا .

١٢- قضى : القاضية : المهلكة

إذا تأملنا قوله تعالى ﴿ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴾ ^(١) فإننا نرى المعنى واضحا جليا ، حيث تبدو الحسرة في كلام الكافرين واضحة ، والندم عظيما على ما فرطوا في حق الله سبحانه ، إنهم يتمنون أن لو كان الموت مهلكا لهم نهائيا لا مودة بعده ولا بعثا حتى يتجنبوا الحساب والعقاب الذي وعدهم به الله ، وهو مائل أمام عيونهم بعد تكذيبهم إياه وكفرهم به . تأمل معي قوله تعالى على لسانهم ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهٖ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهٖ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهٖ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهٖ ﴾ ^(٢) فإن الكافر يتمنى أن لو كانت موته مهلكة ، أو أن تكون الناهية ، ليس هو الذي يقول ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾ ^(٣) !؟

والقضاء بمعنى الهلاك ، ورد في لسان العرب قوله قال أبو اسحق ، معنى قضى الأمر: أتم إهلاكهم" تعقبا على قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴾ ^(٤)

١٣- قضى : استمتع

من المعانى المستحدثة أيضا لمادة (ق ض ي) ، أننا نقول ، قضى زيد وقتا جميلا ، وهذا المعنى لم يرد في القرآن الكريم ولا معاجم اللغة ، لكنه

(١) الحاقة ٢٧ .

(٢) الحاقة الآيات ٢٥ - ٢٩ .

(٣) النبأ ٤٠ .

(٤) الأنعام ٨ .

يستعمل في حياتنا الآن ، نقول : ذهب إلى الطائف ، وقضيت وقتاً جميلاً بين مروجها الخضراء ، أي استمتعت بهذا الوقت الطيب فيها .

١٤- قضاء بغداد

وهذه أيضاً من المعاني التي لم ترد في القرآن الكريم ، حيث يطلقون على الأقاليم والولايات والأنحاء لفظ قضاء ، فهم يقولون قضاء بغداد وقضاء البصرة بمعنى محافظة كذا ، أو منطقة كذا أو ولاية كذا .

١٥- قضى : مات وهلك

ومن المعاني المتنوعة ، أن مادة (ق ض ي) يأتي منها الفعل الماضي (قضى) بمعنى هلك ومات ، نقول : قامت إسرائيل بغارة على الأحياء السكنية وكانت النتيجة أن خمسة عشر قتيلاً قُضُوا ، أي ماتوا وهلكوا .

وفي لسان العرب ما يؤيد ما ذهب إليه ، جاء فيه "يقال قضى الرجل إذا مات" (١) ويقول في موضع آخر "والانقضاء ذهاب الشيء وفناؤه" (٢)

ولقد سمعت هذا المعنى من العامة فقد حكى لي أحدهم (من الطائف) أنه جاءه خبر "أن ابن فلان قضى إلى ربه" أي مات وانتقل إلى جوار ربه الكريم .

١٦- قضى : أمضى

ومن المعاني المستحدثة لمادة (ق ض ي) أنها تكون بمعنى "أمضى" ولم يرد هذا المعنى في القرآن الكريم ولا في معاجم اللغة ، نقول : قضيت ليلة

(١) لسان العرب ١٥/١٨٧ .

(٢) المصدر السابق .

في الفندق" أي أمضيت به ليلة، وقضيت أجازتي في الاسكندرية" وقضى المذنب في السجن شهوراً" أي أمضى فيه شهوراً .

وقد يسأل سائل ما الفرق بين قضى بمعنى استمتع ، وقضى بمعنى أمضى ؟ نقول إننا نستخدم قضى عند الإحساس بالمتعة حيث توحى بمعنى الاستمتاع ، أما قضى بمعنى أمضى فليس فيها شرط الاستمتاع ، فليس معقولاً أن قضاء العقوبة في السجن نوع من الاستمتاع بل هو إمضاء للمدة .

* * *

